أعمال التنقيب في داحس

١٩٧٦ - ١٩٧٩

ب. بافان - ج. ب سوديني - ج تات
تعريب وتلخيص د. عدنان البني

إن أعمال التنقيب في داحس هي تتمة لأعمال جورج شالنكو الذي اختار هذه القرية لحالتها السليمة وحجمها المتوسط، وكون مبانيها تعود لفترة ممتدة بين القرن الاول والقرن السابع الميلاديين، وهي على ما يظهر فترة إعمار تلك المنطقة الجبلية، وقد كان عرض في ١٩٧١ بهذه المجلة نتائج أعماله الاولى التي نلخصها فيما يلي:

بعد أن كانت هذه البقعة في القرن الاول والثاني الميلاديين ملكية كبيرة لواحد أو أكثر، أخذت تشهد، اعتباراً من القرن الرابع، تجزئة لتلك الملكيات الكبيرة لصالح طبقة من المنتجين الصغار المستقلين المستفيدين من نظام الايجار الطويل، ومع الانتشار التدريجي لزراعة الزيتون وفتح القرية للمبادلات المحلية أو بين المناطق (بيع الزيت وشراء القمح) ثم التخصص التدريجي في أحياء القرية وخاصة عندما ظهرت في القرن الخامس «ساحة السوق» كان يحدها من الشرق الاندرون (وهو نوع من دار البلدية أو الندوة، وكذلك الخان ومن الجهات الاخرى الاروقة التي تظلل الدكاكين، وكان لابد لهذه النظرية من تأييد بإجراء أعمال التنقيب التي لم يقم بها أحد من قبل، إذ أن الاجزاء السفلى من مباني داحس مغيبة لطبقات من التربة قد يجد المنقب فيها بعض الجدران غير الظاهرة وبعض الطبقات الاثرية، كما أن من المهم جداً التعرف إلى أنواع الفخار والنقود المستعملة في هذه المواقع الريفية.

وكان لابد من البدء بالتنقيب في المكان المسمى «ساحة السوق»(*) وكذلك في المبنى «البازيليكي» الذي يحتمل أنه كان مركز الملكية الكبيرة في القرنين الاول والثاني.

١ - ساحة السوق: تحديد الهوية والتأريخ:

إن ما يسمى «ساحة السوق» هو عبارة عن فسحة شكلها شبه منحرف مكتنفة بثمانية مبان (١٠١ - ١٠٨) إن أعمال التنقيب والسبر قد أظهرت عدم وجود «ساحة السوق» ولادار البلدية ولا الدكاكين، وان هذه المجموعة المعمارية عبارة عن ثلاث بيوت قروية ذات باحات داخلية وعدد من المباني حولها.

وإن تاريخ هذه المباني يعرف بصورة عامة من الطبقات الاثرية، وأقل من ذلك من دراسة الزخارف

* - تراجع الاشكال والصور والمخططات مع المقال الاصلي في القسم الاجنبي من المجلة «المعرّب».

وفي حالة واحدة من كتابة تعود للعام (٣٦٠/٣٦١)، ثمة كسر فخارية ونقود تعود للعصر الهيلنستي دون أن يكون هناك منشآت باقية من ذلك العصر إذ أنها أزيلت لتشييد المنشآت الاحدث، ولكن المهم هو أن بدء إعمار هذه المنطقة أقدم مما يتصور الانسان.

أما المباني القائمة فهي على فئتين الاولى من القرن الرابع، والثانية من السادس، فالبناء رقم ١٠٧ من نهاية القرن الثالث وبداية الرابع والبناء رقم ١٠٥ بني في /٣٦٠ - ٣٦١/ والمباني ذات الارقام ١٠٢ و ١٠٣ و١٠٤ شيدت فيما بين تلك الفترتين، أما الفئة الثانية فمنها المباني ١٠١ و١٠٦ و١٠٨ وامتدادات ١٠٢ و١٠٣ و١٠٥ الفئة الاولى جدرانها مشيدة بالريازة المضاعفة غير المنتظمة والفئة الثانية من ريازة بسيطة منتظمة المداميك، ولايمكن الاعتماد على هذا فقط في تأريخ المباني، فثمة استثناء في المبنى ١٠٣ فهو من القرن السادس رغم أن جدرانه مشيدة بالريازة المضاعفة غير المنتظمة، وتغير أسلوب البناء يدل على تحسن حال المالكين ووجود فرق من عمال المختصين الذين يستعملون السقائل ويعرفون أدوات رفع الحجارة.

ويلاحظ أن طريقة توسيع هذه المساكن الثلاثة خلال قرون ثلاثة، يعكس نهوضاً سكانياً وتغيراً في تركيب الاسرة فقد حل محل الاسر الكبيرة المركزية التي كانت سائدة في القرن الرابع أسرة مجزئة في القرن السادس.

وقد بينت أعمال التنقيب أيضاً أن السكن في هذه المنطقة استمر حتى القرن العاشر خلافاً للاعتقاد الذي كان سائداً والذي يرى أن تلك المناطق قد هجرت بعد الفتح العربي.

وإذا كنا قد ذكرنا الفئتين السائدتين في عمارة الجدران، فلابد أن نذكر وجود بعض الفروق البسيطة في كل فئة، على أن طرز الابواب والنوافذ موحدة داخل كل فئة، فقوائم الابواب هي غالباً من حجر واحد وقد تكون من حجرين لاأكثر. وذلك حتى تحتمل الدفع الافقي للجدران. أما سواكف الابواب والنوافذ فيعلوها قوس للتخفيف أو فتحات.

الفئة الثانية تكون حجارتها منحوتة في الخارج أما في الداخل فتبقى دون نحت لتكسى بالبلاط، أما الابواب فتكون من حجارة منضدة على مقطعها نحتت أطر الدرفات، أما الفتحات فيخفف فوقها كما في الفئة الاولى، والدرج المؤدي للطابق العلوي جانبي لايصعد مباشرة نحو باب ذلك الطابق حتى لايعيق باب الطابق الارضي. وفي جميع الاحوال تتقدم المباني أروقة لتحمى من المطر والشمس دون أن تمنع دخول الضوء.

وفي الفئتين تكون السطوح جملونية مغطاة بالقرميد وميل السطوح شديد لتسهيل انحدار الماء نحو الصهاريج. وهيكل التخشيبة مكون من أخشاب متوازنة مع جبهة الجملون تحمل عوارض رقيقة ومتقاربة فوقها طبقة مونة يوضع فوقها القرميد.

وثمة رسوم محفوظة في قرية براد وقرية بطوطة تبين أن التخشيبة يمكن أن تضم عوارض للربط وعوارض قائمة وعوارض مائلة.. الخ. وقطع القرميد وأغطية الوصل فيما بينها تماثل المعروف في كل العالم الروماني. وكانت السقفية تقوم على جسور خشبية «أسطام» مع ألواح معترضة وفوق ذلك فرش من الاغصان فوقه طبقة من الطين وكانت الصهاريج على شكلين الاول متوازي المستطيلات مع غطاء مؤلف من بلاطات بشكل عقد أما الثاني فهو محفور في الصخر بشكل قارورة.

أما الفخار المكتشف فقد بدأنا بتصنيف النماذج المحلية منه وهو أمر محفوف بالمصاعب، على أن الملاحظ أن الخزف المستورد كثير بالنسبة لهذه البقعة الريفية.